

فصلنامه تحقیقات جدید علوم انسانی

Human Sciences Research Journal

دوره چهارم، شماره ۲۸، تابستان ۱۳۹۹، صص ۱۹-۳۲

New Period 4, No 28, 2020, P 19-32

شماره شاپا (۲۴۷۶-۷۰۱۸) ISSN (2476-7018)

الطوائف الدينية وأثرها في تماسک المجتمع العراقي خلال عهد المماليك ۱۷۴۹-۱۸۳۱

أ.م. د. وائل جبار جودة النداوى^۱. د. أرشد حمزه حسن^۲

۱. كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة المثنى

۲. كلية الأمام الكاظم - للعلوم الإسلامية / بابل

ملخص البحث

تضمن البحث مقدمة وثلاثة محاور وختمة ووضح المحور الاول اثر الدين في تطور الجانب الاجتماعي في العراق خلال عهد المماليك فعلى الرغم من تنوع التركيب الديني فقد عاش الجميع بحالة من الاستقرار والالفة والتآزر، بفضل مبادئ الدين الاسلامي السمحاء التي دعت الى احترام العقائد الدينية لترصين التماسک الاجتماعي، وتابع المحور الثاني المساجد ودورها في ترسیخ الجانب المعرفي للمجتمع العراقي خلال عهد المماليك ۱۷۴۹-۱۸۳۱، وجرى الحديث عن اهم المساجد ودورها في إثراء العادات والتقاليد للمجتمع العراقي و بين المحور الثالث دور الطائفتان اليهودية والمسيحية ومؤسساتها الدينية في تماسک المجتمع في العراق و من نتيجة التسامح والتساهل الذي عاش اليهود في ظله أبان العهدو الاسلامي، أن كثرت معابدهم في المدن العراقية الرئيسية، فكان في بغداد، في منتصف القرن التاسع عشر، تسعه كنس، ومدرسة دينية، وفي الوقت نفسه في الموصل، كنيس واحد ومدرسة، الى جانب بعض المزارات الدينية خارج المدن، و مارس المسيحيون طقوسهم وعاداتهم و معتقداتهم الدينية في بيوت تعرف بالكنائس او المعابد او الاديرة، التي هي بمثابة بيوت مركزها الكنيسة، تجمع فيها الرهبان لغرض الصلاة المشتركة والتقرب الى الله، وتلك الطقوس والعادات لا تثير حفيظة الطوائف الاخرى بل بالعكس فقد كانت الطائفة المسيحية تشارك تلك الطوائف بأفراحهم واحزانهم.



Summary

The research included an introduction 'three axes 'and a conclusion. The first axis clarified the impact of religion on the development of the social aspect in Iraq during the Mamluk era. Despite the diversity of religious composition 'everyone lived in a state of stability 'familiarity and synergy ' thanks to the principles of the noble Islamic religion that called for respecting religious beliefs to consolidate social cohesion 'The second axis followed the mosques and its role in consolidating the knowledge side of Iraqi society during the Mamluk era. In which the Jews lived in the shadow of Islamic times 'when their temples abounded in the main Iraqi cities 'so in Baghdad 'in the middle of the nineteenth century 'nine synagogues and a religious school 'and in Mosul 'at the same time 'one synagogue and a school 'along with some religious shrines Outside the cities 'Christians practiced their rituals 'customs 'and religious beliefs in homes known as churches 'temples 'or monasteries 'which are like homes centered by the church 'in which they gather The monks for the purpose of joint prayer and drawing closer to God 'and those rituals and customs do not arouse the ire of other sects 'but on the contrary 'the Christian community shared these sects with their joys and sorrows.

المقدمة

مما لا شك فيه إن المجتمع العراقي ومنذ قرون طويلة تعيش على ارضه مختلف الطوائف والديانات والقوميات التي انضمت تحت مسمى الدولة العراقية، وان اختلاف المسميات على مر العهود فكان يسمى ارض العراق تارة، وتارة أخرى يسمى ارض الرافدين أو الفراتين، وكان للديانات اليهودية والمسيحية والإسلامية وعلى مدى التاريخ دوراً مهماً في رسم الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية للعراق وقد سلطت معظم الدراسات الضوء على ذلك التاريخ، إلا إن الجانب الاجتماعي وخاصة أثر الدين فيها خلال عهد المماليك في العراق لم يحظ بالبحث والدراسة الكافية.

تضمن البحث مقدمة وثلاثة محاور و خاتمة وضح المحور الاول اثر الدين في تطور الجانب الاجتماعي في العراق خلال عهد المماليك، فعلى الرغم من تنوع التركيب الديني فقد عاش الجميع بحالة من الاستقرار والالفة والتآزر، بفضل مبادئ الدين الاسلامي السمحاء التي دعت الى احترام العقائد الدينية لترضين التماسك الاجتماعي، اذ سار المسلمون على قاعدة اساسية فرضتها عليهم طبيعة دينهم وهي، عدم التعرض لمختلف العبادات فلم يساء الى متعبد في عبادته او متدين في ديناته، فيقوم المسجد الى جوار الكنيسة او المعبد، لا فرق في نظرهم في حرمة وقدسية مراكز العبادة، شعاراتهم جميعاً الدين الله، وتتابع المحور الثاني المساجد ودورها في ترسیخ الجانب المعرفي للمجتمع العراقي خلال عهد المماليك ١٧٤٩-١٨٣١، وجرى الحديث عن اهم المساجد ودورها في إثراء العادات والتقاليد للمجتمع العراقي وخاصة في مدينة بغداد على



اعتبار أنها تمثل سلطة القرار في العراق والتي كان لها دوراً مهماً في إرساء دعائم الحياة الفكرية في العراق أبان عهد المماليك.

بين المحور الثالث دور الطائفان اليهودية واليسوعية ومؤسساتها الدينية في تماست المجتمع في العراق و من نتيجة التسامح والتساهل الذي عاش اليهود في ظله أبان العهود الإسلامية، أن كثرت معابدهم في المدن العراقية الرئيسية، فكان في بغداد، في منتصف القرن التاسع عشر، تسعه كنس، ومدرسة دينية، وفي الموصل، في الوقت نفسه، كنيس واحد ومدرسة، إلى جانب بعض المزارات الدينية خارج المدن، مثل قبر العزيز (عزرا) على دجلة، قرب مدينة "العماره" وقرب ذى الكفل (حزقيال) في ناحية الكفل إلى الجنوب من مدينة الحلة، مع أن الأخير يقع في مسجد إسلامي قديم له مكانته لدى المسلمين، ورغم هذه، فإن الأسرة العريبة التي تولت إدارة المسجد والأسراط عليه، كانت تسمح لأوثك اليهود بزيادة المكان دونها إلى مقابل، و مارس المسيحيون طقوسهم وعاداتهم وعتقداتهم الدينية في بيوت تعرف بالكنائس أو المعابد أو الأديرة، التي هي بمثابة بيوت مراكزها الكنيسة، تجمع فيها الرهبان لغرض الصلاة المشتركة والتقرب إلى الله، وتلك الطقوس والعادات لا تثير حفيظة الطائف الآخر بل بالعكس فقد كانت الطائفة المسيحية تشارك تلك الطوائف بأفراحهم واحزانهم، والله ولـى التوفيق.

أولاً: أثر الدين في تطور الجانب الاجتماعي في العراق خلال عهد المماليك ١٧٤٩-١٨٣١

شهد العراق، خلال الحقبة الممتدة من أوائل القرن الثامن عشر حتى الرابع الأول من القرن التاسع عشر تقريباً، تشابك جملة من الظواهر السياسية الاجتماعية، تركت آثارها الواضحة على ممارسة الطقوس الدينية المنضوية تحت مظلة المجتمع العراقي، فضلاً عن الحركة الفكرية فيها آنذاك^(١). في الواقع إن العلاقات السياسية التي كانت بين القوى الاجتماعية القائمة منذ مطلع العصر العثماني، أخذت تستند مبررات قيامها، فمثلاً تحولت فرقة الانكشارية إلى مجرد قوة مسلحة لا تجيد غير التصادم والتطاحن في ما بينها، وبقي المجال خالياً لقوى القبائل المحلية، ييد أن تلك القبائل لم يكن نشاطها يعني شيئاً بالنسبة لذلك الواقع، فضلاً عن قيام فئات جديدة في المجتمع (التجار وأصحاب الحرف) بالاهتمام بما يجري حولها من صراع يحكم ما كان يؤديه ذلك الصراع من ضرر بمصالحها الاقتصادية، فظهرت التجمعات الساندة لها وكانت تنظيمات (الأصناف) و(الطراقي الصوفية) أبرز عناصر تلك التجمعات، وكانت فئتاً (أهل العلم) و(أهل الأدب) تمثلان عنصراً مكملاً لثقافتها وقيمها الجديدة^(٢).

وساعدت طبيعة حدود العراق المفتوحة، ووجود مدن العتبات المقدسة فيه التي كانت مراكز جذب للMuslimين على اختلاف انتسابهم المذهبية من كل بقاع العالم، ساعدت على تفسير دافع العناصر الأجنبية في الهجرة إليه^(٣). وأن الصراع العثماني - الفارسي واحتدام السجالات بين الجانبيين كان قد أحال العراق إلى ساحة صراع بينهما مؤثر بذلك في تركيبة المجتمع العراقي وتنظيم الإسلام فيه، إذ عرض ظهور الفرس الصوفيين سكان العراق عموماً، ومدن (كريلا، والنجف، وبغداد، والبصرة، والحلة) خصوصاً إلى مؤثرات



فارسية كثيرة^(٤)، وفي مطلع القرن الثامن عشر كان أغلب الفرس الموجودين هم من التجار وأصحاب المصالح الاقتصادية، إذ لم يكن عدد كبير من الطلاب والعلماء الفرس في العراق حينذاك، لأن المراكز العلمية الشيعية الرئيسة كانت في إيران، ولم يأخذ العلماء والطلاب الفرس بالمجيء إلى العراق في أعداد كبيرة إلا في بداية ذلك القرن^(٥) فانتقل بذلك مركز الدراسات الشيعية من إيران إلى العراق، وتحديداً إلى كربلاء أو لام إلى النجف (التابعين إلى الحلة في تلك المرحلة)، وانتشرت اللغة الفارسية حينذاك إنتشاراً واسعاً في مختلف المدن الشيعية، وأن الدولة العثمانية كانت قد ناصرت وراعت لغتها والمتكلمين بها من الموظفين، فقويت التركية إلى حد كبير، إلا أن ذلك لم يكن يعني بالضرورة إهمال اللغة العربية^(٦)، فمن المعروف أن الدولتين (الفارسية والعثمانية) كانتا في سعي مستمر لاقتباس الثقافة وأخذها من العراق ومن غيره من البلاد العربية بطريق الاتصال بالعلوم والآداب، مما سهل لها تكوين ثقافة علمية وأدبية، أدت إلى أن تستقل كل دولة بما تتوفر لها من تلك العلوم والآداب، مما يعني أن الاحتلال لم يكن مقصوراً على الجوانب السياسية والاقتصادية، بل يعني تنافس وترابط واسع نصيب وافر من الثروة الأدبية^(٧).

من المعروف تاريخياً إن المراقد والمقامات الدينية قد جسدت أدواراً مهمة في ثقافات الشعوب والأمم وأكدت على الترابط الروحي والتماسك الوجداني بين أفراد المجتمع الواحد ونجد ذلك ليس على مستوى الديانة الإسلامية فحسب بل تجسد ذلك في معتقدات الديانات السماوية الأخرى وفق المعايير والأعراف التي نادت بها تلك الديانات حتى شاع مفهوم المراقد في ثقافات الشعوب بشكل عام وخاصة على السواء، بل والأكثر من ذلك انه ارتبط برحمة الإنسان الطويلة تارياً إلى الحد الذي اقترنت به المرقد المقدس على استلهام المعانى السامية في الترابط المعنوى والروحى بين الإنسان وما يعتقده او ما يؤمن به^(٨).

تألف المجتمع العراقي من عدة ديانات يأتي في مقدمتها الدين الإسلامي، إذ شكل المسلمين الغالبية العظمى من السكان تليهم ديانات مختلفة كاليهود، والنصارى، والصابرة، واليزيديه، وعقائد أخرى^(٩) على الرغم من تنوع التركيب الديني فقد عاش الجميع بحالة من الاستقرار والالتفاف والتآزر، بفضل مبادئ الدين الإسلامي السمحاء التي دعت إلى احترام العقائد الدينية لترسيخ التمسك الاجتماعي، اذ سار المسلمون على قاعدة أساسية فرضتها عليهم طبيعة دينهم وهي، عدم التعرض لمختلف العبادات فلم يساء إلى متعدد في عبادته او متدين في ديناته، إلى جانب ذلك فإن الحرية الدينية مضمونة بالدستور ومكفولة بالتوافق الاجتماعي الذي احترمه البغداديون منذ اقدم الازمنة، فيقوم المسجد الى جوار الكنيسة او المعبد، لا فرق في نظرهم في حرمة وقدسيه مراكز العبادة، شعارهم جميعاً الدين لله، لذلك امترجت هذه الاديان بدرجات عالية من التألف تجمعها رابطة الشعور المشتركة بالوحدة الوطنية العراقية^(١٠).

امتازت ولايات العراق الثلاث (بغداد، الموصل، البصرة) خلال عهد المماليك وخاصة في عهد الوالي داود باشا بكثرة المؤسسات الدينية للمسلمين مثل المساجد والجوامع والتكايا والحسينيات والمدارس ومجالس الوعظ فضلاً عن الكنائس والاديرة واماكن العبادة التابعة إلى الأقلية اليهودية^(١١)، وقد نالت هذه المؤسسات قدسيه كبيرة من مختلف الطوائف الإسلامية والأقليات الدينية الأخرى، وتعددت أهدافها فهى فضلاً عن



كونها أماكن لإقامة الشعائر الدينية فإنها كانت بمثابة مدارس لتدريس العلوم الإسلامية واللغة العربية ولتعليم القراءة والكتابة للمبتدئين ومراكم للاجتماعات العامة يلتقي فيها أبناء المجتمع في عموم العراق في الأعياد الدينية والمناسبات الاجتماعية والوطنية على حد سواء^(١٢)،

أما بالنسبة في ولاية بغداد التي تعد المركز الاقتصادي والسياسي والاجتماعي في العراق فسيكون تركيز موضوع الدراسة عليها تقريباً، فقد ازداد عدد المؤسسات الدينية في بغداد لزيادة عدد السكان المسلمين فيها، وقيام البعض بإنشاء هذه المؤسسات لاسيما أهل الخير والإحسان وأبناء الطبقة الميسورة، فضلاً عن دور السلطة الحاكمة في هذا المجال^(١٣)، في ترميم المساجد القديمة وإنشاء أخرى جديدة. ومن أشهر الجماعات القديمة "جامع الإمام موسى الكاظم ومحمد الجواد (عليهما السلام) وجامع الإمام أبو حنيفة وجامع الشيخ معروف وجامع براثا وجامع الشيخ عبد القادر الكيلاني^(١٤)، ويشرف على المؤسسات الدينية للمسلمين شريحة اجتماعية ودينية تتألف من الفقهاء والوعاظ والخطباء، يقومون بإرشاد الناس ووعظهم عن طريق الخطب إلى أهمية الالتزام بمبادئ الدين الإسلامي والسنّة النبوية المطهرة^(١٥).

ثالثاً: المساجد ودورها في ترسیخ الجانب المعرفي للمجتمع العراقي خلال عهد المماليك

١٧٤٩-١٨٣١

كان للمسجد عبر التاريخ الإسلامي أدوار عظيمة الشأن، بالغة التأثير في المجتمع الإسلامي، فكان البيت الجامع الذي يختلف إليه المسلمون للعبادة، ولتسهيل شؤونهم العامة، ولتدير أمور دنياهم، وهو في الوقت نفسه مؤسسةٌ تعليميةٌ وثقافيةٌ يندرج إليها المسلمون لتعلم القراءة والكتابة، والنهل من ميادين العلم والمعرفة، وإلى جانب الرسالة الروحية والتربوية والتعليمية للمسجد فقد قام بأدوار اجتماعية مهمة، ونفت الصلة بين المسجد وبين محطيه، يوم أن أحياناً دوره في حل مشكلات المجتمع، وأعاد الاهتمام بالأدوار المختلفة التي كان يقوم بها مثل: إقامة المدارس التي تسهم في تمية المجتمع من تعليم الكبار، ومحو الأمية، وتبني مصحّة للمتضاررين، ومحل لعقد الزواج، وبناء دور للمشردين، وإنشاء صناديق لرزف كاهة

وستعرض هنا أهم المساجد ودورها في إثراء العادات والتقاليد للمجتمع العراقي وخاصة في مدينة بغداد على اعتبار أنها تمثل سلطة القرار في العراق والتي كان لها دوراً مهماً في إرساء دعائم الحياة الفكرية في العراق أيام عهد المماليك. وهي:

١: **جامع العادلية الصغير**: يعد جامع العادلية الصغير من أول الجماعات التي بنيت في عهد عادلة خاتون ويتأمر منها وذلك في عام ١٧٤٧، يقدّم هذا الجامع في محلّة الدنكجية من محلات الجانب الشرقي (الرصافة) من بغداد القريبة من نهر دجلة، بالقرب من الجسر الوحيد في بغداد آنذاك ومكانه الان هو بالقرب من جسر الشهداء الحالي.

وقال السيد محمد سعيد الراوى " هو جامع صغير واقع على يسار السالك من سوق الصفارين على طريق الجسر عند منتهى الدرب الواقع امام بناية مطبعة الحكومة و جامع مشتمل على مصلى وصفة امامه وحجرتين



عند مدخل الباب على يسار الداخل متوجهة بابها نحو القبلة، ويدار هذا الجامع من قبل المtowerى عليه الذي يلى اوقاف جامع عادلة خاتون الكبير او العادلية، وهو ايضا من ابنيه عادلة خاتون بنت الوزير فاتح همدان احمد باشا، وزوجة المرحوم الوزير سليمان باشا، وكان قد تداعى للسقوط فعمره متوليه إذ ذاك ابراهيم افدي المعروف بالميز وذلك في سنة ١٣١٨^(١٦).

ومن الملاحظ من الواقعية التي اوقتها عادلة خاتون الى هذا الجامع والمورخة في عام ١٧٤٩ " انه يعطى عشرة آفجات الى محافظ المكتبة " مما يدل على ان لهذا الجامع مكتبة تحوى مجموعة من المصادر التي كانت محطة انتظار الباحثين وطالبي العلوم و كان للمسجد دور هام في ترسیخ العادات والتقاليد الإسلامية لدى المجتمع البغدادي، فضلاً عن ذلك فقد كان له دوراً في إرساء القيم والاعراف العشائرية العربية الأصيلة^(١٧).

٢- جامع العادلية الكبير: أنشأته السيدة عادلة خاتون خلال المدة ١٧٤٩-١٧٥٤^(١٨) كما دلت الكتاتيب الموجودة في مدخله اي بعد سنوات قليلة من إنشائها لجامع عادلية الصغير (٤٢)، تبلغ مساحته الكلية بحدود (٩٥٠) متر مربع، ومساحة حرم الصلاة بحدود (٦٠٠) متر مربع، ويستوعب حوالي (٤٠٠) مصلٍ، أما بالنسبة إلى وصف الحرم فهو مستطيل الشكل مساحته بحدود (٢٥ × ٣٠) متر مربع) مبني من الطابوق، في حين يرتفع السقف إلى (٥) امتار، وقد زينت جدرانه من الداخل بالآيات القرآنية، فضلاً عن ذلك فإنه يحتوى على منارة كبيرة ترتفع بحدود ٢٨ متراً، وقبة ومنبر من الخشب وقد وصفه السيد محمود شكري الالوسي بقوله " فيه مصلى كبير ومنارة شامخة، فيه مدرسة في الطابق الذي فوق الباب، وخزانة كتب، أنشأته صاحبة الخيرات عادلة خاتون بنت احمد باشا الذي تولى إيلاه بغداد لاثني عشر سنة"^(١٩).

كما وصفه الشيخ عباس بن جواد البغدادي بقوله "مسجد عادلة خاتون من بناة وزراء بغداد السابقين وهو جامع جمعة وفيه مدرسة ومئذنة" ، كما وصف السيد محمد سعيد الراوى الجامع بقوله " هو الجامع الواقع على شارع النهر تجاه المحكمة الشرعية يبعد عن جامع الصاغة مسافة ربع ميل وهو جامع اشتغل على مصلى واقع على يمين الداخل اليه، ومنارة عالية واقعة على الركن الغربي للمصلى، وعلى يمين المصلى رواق صغير لصلاة من فاته صلاة الجمعة فيصلي هناك منفرداً"^(٢٠).

وقد الحقت عادلة خاتون بالجامع مدرسة لتدريس العلوم العقلية منها والتقلية، واختصت بالفقه الحنفي مما شجع الطلاب على الالتحاق بهذه المدرسة الجامعية مما كام له الأثر الكبير في ترسين القاعدة الاخلاقية للمجتمع البغدادي، وكانت هذه المدرسة تشغل عدداً من الغرف في الطابق العلوي من الجامع، وضمت إليها خزانة كتب تكون عوناً لمدرسيها وطلبتها على حد سواء، وحددت عدد طلبتها بخمسة عشر طالباً وهو عدد كبير قياساً إلى المدارس الأخرى، وقد كان المدرسوون يتتقاضون رواتب^(٢١)، وقد عنيت عنائية فائقة بهذه المدرسة فقد كانت تشرف هي على شؤونها وادارتها، ومما تجدر الإشارة إليه أن المدرسوون كانوا يؤكدون على العادات والتقاليد التي تؤكد عليها القرآن الكريم وسنة النبي الراكم (صلى الله عليه وآله وسلم) وسيرة صحبة الأكرام^(٢٢).



٣ - **جامع الامام الاعظم**: خلال عهد المماليك وتحديداً "الوالى سليمان باشا (ابو ليلة)" جدد المرقى وانشئت المئارة والقبة عام ١٧٥٧م، وذكر السيد هاشم الاعظمى فى كتابه تاريخ جامع الامام الاعظم ما نصه "لم يدون التاريخ اسماء المدرسين الذين درسوا فى مدرسة ابى حنيفة من عام ١٣٨٠ ولغاية ١٧٥٢، ولم اجد اثراً للذين تعاقبوا فى التدريس بين التاريخين، ولكنى عثرت على اسماء بعضهم ما بعد هذا التاريخ بواسطة السنداط العثمانية وأولهم هو"

١. السيد عبدالله افندي مدرس جامع الامام الاعظم (رض) وجدت اسمه فى الوثيقة التاريخية الموجودة لدى كان قد وقها بامضائه وكتب عنوان وظيفته فيها وذلك عام ١٧٥٢ اى فى عهد الوالى المملوکى سليمان باشا (١٧٤٩-١٧٦١).

٢. السيد شهاب الدين مدرس جامع الامام الاعظم (رض)، كان عالماً من اعلام الفقه واللغة وشيخاً بارزاً بين اقرانه وجدت اسمه فى الوثيقة التى كان قد وقها وذكر فيها عنوان وظيفته وهو مدرس وذلك بتاريخ ١٧٧١ اى في عهد الوالى المملوکى عبد الله باشا (١٧٧٨-١٧٧٦).

٣. العالمة السيد مصطفى افندي المدرس بن احمد واصله من طى، وجدت توقيعه فى وثيقة يرجع تاريخها الى عام ١١٩٥ هـ والتى تقابل سنة ١٧٨٠ ووثيقة أخرى وقعتها فى سنة ١٢٠٩ هـ والتى تقابل ١٧٩٥ وقد ذكر فيها عنوان وظيفته وهو مدرس اى فى عهد الوالى المملوکى سليمان باشا الكبير (١٨٠٢-١٧٨٠)، ووجدت الامر الذى تعين فيه ايضاً مفتياً لبغداد دار السلام وذلك فى عام ١٧٩٤^(٢٢)، ومما تجدر الاشارة اليه ان السيد مصطفى افندي كان عالماً فى التفسير والحديث والاصول والفقه والكلام، واسع الاطلاع بعلوم اللغة العربية (٢٣)

٤. العالمة السيد عبد الله افندي الالوسي، درس فى مدرسة ابى حنيفة النعمان اربعين عاماً توفى بمرض الطاعون عام ١٨٣٠ فى زمن على باشا الالاظ والى بغداد، على باشا (١٨٠٢-١٨٠٧)، سليمان باشا الصغير (١٨١٠-١٨١٨)، عبد الله باشا (١٨١٣-١٨١٠)، سعيد باشا (١٨١٣-١٨١٦)، داود باشا (١٨٣١-١٨١٦) وتعد مدة تدريسه اطول مدة، والعلامة الالوسي فخر المدرسين ورئيس العلماء فى بغداد دار السلام وولده العالمة السيد محمود شكري الالوسي^(٢٤).

رابعاً: الطائفتان اليهودية واليسوعية، ومؤسساتها الدينية ودورها في تماسك المجتمع في العراق:

مارس اليهود العراقيون في ظل الحكم المملوكي صلاتهم وطقوسهم اليومية في تلك المعابد بكل حرية، إلا إنهم باختلاف مذاهبهم وتعدددها، سلكت بعض المذاهب مسالك كثيرة وأخذت تغير في تعاطي مع تلك المعابد بحسب الدوافع، نرى بعض معابد وبالخصوص الحاخام يبيع أماكن الصلاة على التجار، لأن المعابد باستمرار بحاجة إلى الأموال فهنا يكون المكان مخصص للذى يدفع أكثر ويكون قريب من الحاخام في المقدمة ومن بعدهم اليهود العادين من الطبقات الاجتماعية وحسب وضعهم الاجتماعي^(٢٥)، وكذلك لم



تكن بالمعابد جلسه محدد لأنها تختلف تبعاً للطراز المعماري للمعبد، وأيضاً تغير نوع الصلاة بحسب نوع المذهب اليهودي فمثلاً بالمعابد الارثوذكسيه تميز بالحاجز المادي الذي يفصل الرجال عن النساء وهذا الحاجز يتخذ شكل ساتراً من القماش بحيث يمكن إزاحته لتناول الكتب الدينية^(٢٥).

أما المعابد الاصلاحية. فيتحدد جلوس اليهود حسب انتماماتهم الاجتماعية والطبقية فعلى سبيل المثال يجلس الحاجام أو الفقيه وأصحاب المكانة الاجتماعية المرموقة في المقدمة، ويجلس من خلفهم الأثرياء، وبعد ذلك يجلس من خلف هؤلاء اليهود البسطاء، ومن جانب آخر فإن هذه المعابد الاصلاحية لا تكفل النساء من الناحية الشرعية بالذهاب إلى الصلاة في الكنيس بل تؤدي الصلاة في البيت ولا ضير في ذلك، ومن هنا فإن هذه الكيفية التي تذكر في صلاة الطائفة اليهودية لم نجد مثيل لها عند الديانتين المسيحية أو الإسلامية وهو تقديم ذوي الجاه والاموال أو بيع مكان الصلاة إلا عند اليهود الاصالحين لأن صلاتهم تتغير تبعاً للعامل السياسي كما أشارت بعض المصادر ومثل هذا العمل يفرغ مكان العبادة عن محتواه الذي هو مكان مخصص للعبادة وتلغى به الفوارق الطبقية وتنتهي به القبلية والتعصب حتى أنه يفقد المكان حيويه وثراته يصبح كمؤسسة سياسية ربحية هما كسب الناس على أساس الوضع الاجتماعي والسياسي. لذا يذكر في الجزء الثاني في الموسوعة اليهود للكاتب عبد الوهاب المسيري أن أهمية الشعائر تحدد حسب شعائر المجتمع الأغلبية^(٢٦).

أما الطائفة المسيحية فقد كانت لها مجموعة من الكنائس التي انتشرت في بغداد وبقية المدن العراقية إبان عهد المماليك منها (بيعة الميدان كنيسة السريان و كنيسة الآباء الكبوشين و كنيسة ام الاحزان وغيرها من الكنائس) وذكر مثالين على هذه الكنائس وهي:

١. **كنيسة الآباء الكروملين**: افتتح هذه الكنيسة الاب عمانوئيل بايه في ٣/١٧٣١ على اسم القديس توما، وكان هذا القديس قد وصل إلى بغداد سنة ١٧٢٨، واستندت إليه مهمة الفنصلية الفرنسية في سنة ١٧٤١^(٢٧)، وصار اسقفاً على اللاتين سنة ١٧٤٣، وبقي في بغداد حتى وفاه الأجل بمرض الطاعون في عام ١٧٧٣.

٢. **كنيسة القديسة مسكتنة**: بعد أن فقد الكلدان كنيستهم في الميدان باستيلاء الارمن عليها، تبرعت سيدة اسمها ((حمام)) بدارها الواسعة لتكون مسكتناً ومعبدًا للقسيس، وكانت هذه الدار ملاصقة لفناء الكنيسة الأولى في محله الميدان، وصادق الوالي سليمان باشا الكبير على تلك الهبة^(٢٨). يرجح بعض المؤرخين إلى أن الكنيسة قد بنيت في تلك الدار بعد سنة ١٧٤٦، وانها اقيمت بالقرب منها كنيسة على اسم السيدة العذراء (ع)^(٢٩).

وهكذا كانت المظاهر الفكرية البارزة وخاصة فيما يتعلق بقضية إرساء العادات والتقاليد في العراق بصورة عامة وفي بغداد بصورة خاصة، وتجلت بوضوح النواحي العلمية التي بروزتها وهذبتها وصقلتها حلقات المساجد و مجالس العلم و انتشرت الكتب العدائية في شتى المجالات المعرفية والعلمية^(٣٠)، وكانت المدارس في بغداد عبارة عن أماكن صالحة للعلم والتعليم، وقد عنيت تلك المدارس في تدريس العلوم والآداب والتربيه، كما أنها عنيت بالاختصاص فقد كان كل موضوع مدرسه المختص، وكان مجال النقاش مفتوحاً أمام



الطلاب وكانت للمناقشة بين الاستاذ والتلميذ ادب خاصة تكفل للأستاذ وقاره وهبته ومكانته، كما تحقق للطلاب طريق الفهم والتعليم^(٣٣) وان المدارس العراقية قامت ياده رسالتها التعليمية وقدمت خدمات جليلة في نهضة العلوم الدينية في التفسير والحديث والفقه والفرائض، والعلوم الادبية كاللغة والنحو والصرف والعروض، والعلوم الرياضية والعلوم العقلية كالمنطق وعلم الكلام والاصول والعلوم الطبيعية، واصبح تلك المدارس شخصية بارزة في عالم الثقافة^(٣٤).

الخاتمة

من خلال قراءة موضوع البحث توصل الباحثان إلى عدد من الاستنتاجات وهي:

كان العراق تحت حكم المماليك الذين استولوا عليه منذ سنة ١٧٤٩ م واستمروا حتى سقوط آخر ولاياتهم داود باشا عام ١٨٣١ م. وقد عرف المماليك بنوع ما بحسن إدارة الأمور في العراق، الأمر الذي جعل الناس في العراق يميلون إليهم، كما كان للسلطات العثمانية مشاكل كثيرة في ولاياتها المتفرقة لذلك تركت شؤون العراق لحكم المماليك، وكان العراق في تلك المرحلة يعاني من مشاكل كبيرة، الا انه مع ذلك كان قد شهد نهضة اقتصادية واجتماعية وفكريه وثقافية، لا زالت اثارها باقية الى الان ولعل المساجد والجوامع ما هي الا شواهد تتحدث عن تاريخ تلك المرحلة من تاريخ العراق الحديث، وخاصة اذا ما علمنا انها بقيت ل اكثر من ثمانين عاماً تركت بصمات واضحة في حياة المجتمع العراقي، مع بروز شخصيات سياسية وادبية وفكريه لازال تراثهم الى الان يتناول بين ايدي المثقفين والقراء ولعل شخصية ابي ثناء الالوسي وعبدالباقي العمري وغيرهم هي من كان لها السبق في هذا المجال.

على الرغم من التنوع الاثني والاجتماعي الذي كان يتميز به المجتمع العراقي آنذاك، إلا إن كل فئة أو طائفة وبغض النظر عن انتماءاتها العرقية والدينية كانت تتمتع بشخصية وحرية كاملة دون قيود أو مضائق، وكانت سمة التعايش السلمي هي السمة التي امتاز بها المجتمع العراقي الذي تمسك ويشكل كبير في معتقداته الدينية ولحمته الاجتماعية. وهنا برزت قضية المؤسسات الدينية ودورها الكبير في التفاعل بين مختلف طبقات المجتمع فلم تكن هناك فوارق في ممارسة العادات والتقاليد التي يحكمها مجتمع واحد وبيئة واحدة فكان للمسجد ولللكنيس والكنيسة الدور الابرز في الحفاظ على تماست المجتمع العراقي ولعل شخصية الوالى داود باشا من الشخصيات التي اهتمت بالنهضة الاجتماعية والفكريه في العراق، اذ قام بتأسيس مدارس عديدة، والاعتناء بالعلم والمكتبات الملحة بالجوابع، ورعاية الطلبة، واعطائهم المنح والمرتبات المالية من حاصل الوقفيات المخصصة للاتفاق على الطلبة والعلماء، رواد الحركة الفكرية والنهضة العلمية في البلاد، وكانت له علاقات وطيدة مع العلماء والشعراء، ومن بينهم عبدالله الالوسي، وعبدالرحمن الروزبهانى وعثمان بن سعد، ومحمود ابي الثناء الالوسي، وفي حقبة انكمش فيها العلم في المساجد والمدن الدينية او يكاد، ولو لا مدارس النجف وبغداد الدينية وغيرها من المدن التي غرز مفهوم القيم والتقاليد المجتمعية.



الهوامش

1. خليل البصیر، الدرر المنظومة والصرر المختومة، تحقيق عماد عبد السلام رؤوف، بغداد، مجلة المجمع العلمي العراقي، العدد (٢٥)، ١٩٧٥، ص. ١٣.
2. عماد عبد السلام رؤوف، التاريخ والمؤرخون العراقيون في العهد العثماني، مطبعة الثقافة العامة، الموصل، ١٩٨٧، ص. ٢٨.
2. Charles Trip, *A History of Iraq*, Cambridge, 2000, P.39.
٤. كان مجتمع العراق الشيعي إلى نهاية القرن السادس عشر الميلادي مجتمعًا عربياً على العموم، وفي ذلك الوقت سكن الكثير من الفرس في مدن (كربلا، والنجف، والبصرة، وبغداد، وسامراء، والحلة) مستحوذين على قسم لا يستهان به من تجاراتها، إلا أن الكثير من أولئك الفرس هربوا إلى إيران بعد الاحتلال العثماني الثاني ببغداد سنة ١٦٣٨م، الذي أسفى عن مقتل زهاء (١٧٠٠) من الفرس. للمزيد ينظر: إسحاق نقاش، شيعة العراق، انتشارات المكتبة الحيدرية، قم المقدسة، ١٩٩٨، ص. ٢٥.
٥. كان الاحتلال الأفغاني (السنوي) لأصفهان سنة ١٧٢٢م، ومحاولات نادر شاه لتشجيع التقارب السنوي الشيعي، ومصادر الكثير من الأوقاف التي تدعم رجال الدين الشيعة في إيران، قد شردت المئات من عوائل العلماء الذين هرب الكثير منهم إلى العراق خلال المدة المحصورة بين سنتي ١٧٢٢-١٧٦٣م). للمزيد ينظر: إسحاق نقاش، المصدر السابق، ص ص ٢٦-٢٧؛ إبراهيم الموسوي الزنجاني، جولة في الأماكن المقدسة، مؤسسة الأعلمى، بيروت، ١٩٨٥، ص. ٨٤.
٦. إسحاق نقاش، المصدر السابق، ص ٢٦؛ عباس العزاوي، *تاريخ الأدب العربي في العراق* ، ج ٢، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٦٠، ص. ١٨.
٧. عبد الرزاق الهملاي، *تبارات ثقافية بين العرب والفرس*، بغداد، مكتبة النهضة، ١٩٧٢، ص. ١٧٩؛ عبد الله محمد الحسيني، *مصادر الفكر العربي الإسلامي في الجزيرة العربية*، مطبعة حضرة صناعة، ١٩٨١، ص. ٤١٧.
٨. محمد صادق الكرباسي، *دور المرارق في حياة الشعوب والآمم*، مطبعة الكفيل، كربلا، المقدسة، ٢٠١٥، ص. ٢٥.
٩. منذر عبد المجيد البدرى، *جغرافية الأقليات الدينية في العراق*، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الجغرافية، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٥، ص. ١٤٩.
١٠. عباس فرحان ظاهري، *الحياة الاجتماعية في مدينة بغداد ١٩٣٩-١٩٥٨* دراسة تاريخية، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد عام ٢٠٠٣، ص. ٨٢.
١١. على الوردي، *دراسة في طبيعة المجتمع العراقي*، مطبعة العانى، بغداد، ١٩٦٥، ص. ٢٩٢.
١٢. طارق نافع الحمداني، *ملامح سياسية وحضاروية في تاريخ العراق الحديث والمعاصر*، الدار العربية للموسوعات، ١٩٨٩، بيروت، ص. ٣٥.



١٣. طارق نافع الحمداني، المصدر السابق، ص ٣٦.
١٤. يونس الشيخ ابراهيم السامرائي، تاريخ مساجد بغداد الحديثة، ط ١، مطبعة الامة، بغداد، ١٩٧٧، ص ٥٥-٤٢.
١٥. سوسن عبد العزيز عبد الوهاب، التطورات الاجتماعية في العراق ١٩٥٨-١٩٦٣، رسالة ماجستير غير منشورة، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٤، ص ٤٦.
١٦. عماد عبد السلام رؤوف، عادلة خاتون صحفة من تاريخ العراق، ط ١، مكتبة الجواب للنشر والتوزيع، بغداد، ١٩٩٧، ص ٣٥.
١٧. مجھول، السلام بعد العصور العباسية، د. مط، بغداد، ١٩٥٨، ص ١٤١-١٤٢.
١٨. عماد عبد رؤوف، عادلة خاتون، ص ٤٠.
١٩. المصدر نفسه، ص ٤١.
٢٠. المصدر نفسه، ص ٤٣.
٢١. المصدر نفسه، ص ٤٦.
٢٢. هاشم الاعظمي، تاريخ جامع الامام الاعظم ومساجد الاعظمية - خاص بجامع الامام ابي حنيفة ومدرسته العلمية، ج ١، د. مط، بغداد، ١٩٦٤، ص ٩٧.
٢٣. المصدر نفسه، ص ٩٨.
٢٤. غادة حمدي عبد السلام، اليهود في العراق ١٨٥٦-١٩٢٠، مطبعة مكتبة مدبولى، القاهرة، ٢٠٠٨، ص ٥. وكذلك ينظر: سعد سلمان المشهداني، تاريخ الطائفة اليهودية في العراق، مجلة مسارات، العدد ١٣، السنة الرابعة، ٢٠٠٩، ص ٢٨.
٢٥. جمال الدين احمد بن على الحسيني ابن عنبة، عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب، عنى بتصحيحه محمد حسن الطالقاني، دار الاندلس، النجف، د. ت، ص ٣٠٧-٣٠٩.
٢٦. حمد الله بن ابي بكر القزويني، نزهة القلوب، طهران، ١٣٣٦هـ، ش، ج ٣، ص ٤٨.
٢٧. ابن بطوطة، تحفة الأنوار في غرائب الأنصار، ج ١، المطبعة العصرية التقدمية، القاهرة، ١٩٤٨، ص ٢٢٠.
٢٨. عباس فرحان ظاهير، المصدر السابق، ص ٨٥.
٢٩. محمود فهمي درويش وآخرون، دليل الجمهورية العراقية لسنة ١٩٦٠، مطبعة العانى، بغداد، ١٩٦١، ص ٤٢٦.
٣٠. يوسف يحيى طعماس، التوزيع المكاني لاستعمالات الأرض الدينية في مدينة بغداد، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٧، ص ٥٦-٦٠.
٣١. بطرس حداد، كنائس بغداد عبر التاريخ، مجلة بين النهرين، العدد ٣٢، السنة الثامنة، ١٩٨٠، ص ٤٢٤.
٣٢. قام الباحثان بزيارة مكان الكنيسة في منطقة الميدان بالعاصمة بغداد، وهي الان بنيت مكانها كنيسة وتقع بالضبط خلف دار الكتب والوثائق العراقية من جهة اليمين على مسافة اقل من (مئة متر)



Human Sciences Research Journal

٣٣. بطرس حداد، المصدر السابق، ص ص ٤٢٥.

New Period 4, No 28, 2020



المصادر والمراجع

أولاً: الكتب العربية والمعربة:

- إبراهيم الموسوي الزنجاني، جولة في الأماكن المقدسة، مؤسسة الأعلمى، بيروت، ١٩٨٥.
- ابن بطوطة، تحفة الأنوار في غرائب الأنصار، ج ١، المطبعة العصرية التقديمية، القاهرة، ١٩٤٨.
- إسحاق نقاش، شيعة العراق، انتشارات المكتبة الحيدرية، قم المقدسة، ١٩٩٨.
- جمال الدين احمد بن على الحسيني ابن عنبة، عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب، عنى بتصحيحه محمد حسن الطالقاني، دار الاندلس، النجف، د. ت.
- حمد الله بن أبي بكر القزويني، نزهة القلوب، طهران، ١٣٣٦ هـ، ش، ج ٣.
- طارق نافع الحمداني، ملامح سياسية وحضارية في تاريخ العراق الحديث والمعاصر، الدار العربية للموسوعات، ١٩٨٩، بيروت.
- عباس العزاوى، تاريخ الأدب العربى في العراق، ج ٢، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٦٠.
- عبد الرزاق الهملاوى، تيارات ثقافية بين العرب والفرس، بغداد، مكتبة النهضة، ١٩٧٢.
- عبد الله محمد الحسيني، مصادر الفكر العربي الاسلامي في الجزيرة العربية، مطبعة حضرة موت، صنعاء، ١٩٨١.
- على الوردى، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، مطبعة العانى، بغداد، ١٩٦٥.
- عماد عبد السلام رؤوف، التاريخ والمؤرخون العراقيون في العهد العثماني، مطبعة الثقافة العامة، الموصل، ١٩٨٧.
- _____، عادلة خاتون صفحة من تاريخ العراق، ط ١، مكتبة الجود للنشر والتوزيع، بغداد، ١٩٩٧.
- غادة حمدى عبد السلام، اليهود في العراق ١٨٥٦-١٩٢٠، مطبعة مكتبة مدبولى، القاهرة، ٢٠٠٨.
- مجهول، السلام بعد العصور العباسية، د. مط، بغداد، ١٩٥٨.
- محمد صادق الكرباسى، دور المراقد في حياة الشعوب والامة، مطبعة الكفيل، كربلاء المقدسة، ٢٠١٥.
- محمود فهمي درويش وآخرون، دليل الجمهورية العراقية لسنة ١٩٦٠، مطبعة العانى، بغداد، ١٩٦١.
- هاشم الاعظمي، تاريخ جامع الامام الاعظم ومساجد الاعظمية – خاص بجامع الامام ابى حنيفة ومدرسته العلمية، ج ١، د. مط، بغداد، ١٩٦٤.
- يونس الشیخ ابراهیم السامرائی، تاریخ مساجد بغداد الحدیثة، ط ١، مطبعة الامة، بغداد، ١٩٧٧.

ثانياً: الرسائل والاطاریح الجامعیة:

- سوسن عبد العزيز عبد الوهاب، التطورات الاجتماعية في العراق ١٩٥٨-١٩٦٣، رسالة ماجستير غير منشورة، المعهد العالى للدراسات السياسية والدولية، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٤.



— عباس فرحان ظاهري، الحياة الاجتماعية في مدينة بغداد ١٩٣٩-١٩٥٨ دراسة تاريخية، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد عام ٢٠٠٣.

— منذر عبد المجيد البدرى، جغرافية الأقليات الدينية في العراق، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الجغرافية، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٥.

— يوسف يحيى طعماس، التوزيع المكاني لاستعمالات الأرض الدينية في مدينة بغداد، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٧.

ثالثاً: الدوريات:

— بطرس حداد، كنائس بغداد عبر التاريخ، مجلة بين النهرين، العدد ٣٢، السنة الثامنة، ١٩٨٠.

— خليل البصیر، الدرر المنظومة والصرر المختومة، تحقيق عماد عبد السلام رؤوف، بغداد، مجلة المجتمع العلمي العراقي، العدد (٢٥)، ١٩٧٥.

— سعد سلمان المشهداني، تاريخ الطائفة اليهودية في العراق، مجلة مسارات، العدد ١٣، السنة الرابعة، ٢٠٠٩.

رابعاً: كتاب باللغة الانكليزية:

— Charles Tripp, A History of Iraq, Cambridge, 2000.